

## ظاهرة الرهائن في المملكة المتوكلية اليمنية

الدكتور راغب العلي

قسم التاريخ

جامعة دمشق

كانت ظاهرة الرهائن واحدة من جملة الأساليب التي اتبعتها الإمام يحيى حميد الدين (١) في سياسته المركزية القائمة على العنف والقوة العسكرية، وإخضاع الريف اليمني مادياً ومعنوياً. ولم يكن هدفه إلغاء النظام القبلي؛ بل العمل على جعل سلطته فوق سلطة القبيلة وهيمنتها إلا أن هذه الظاهرة لم تكن من ابتداع الإمام يحيى حميد الدين، فهي ليست حديثة الولادة بل إنها تعود وبجميع أنواعها إلى حقب التاريخ القديمة. فقد استخدم اليونانيون أسلوب الرهائن حتى قام سولون بإلغائه في برنامجه الإصلاحى عام ٥٩٤ ق.م. (٢). وقد طبق الرومان أسلوب الرهائن أيضاً، ففي عشية الحرب البونية الثالثة، وبعد أن أرسلت قرطاجة بعثة سياسية إلى روما لتعلن استسلامها دون قيد أو شرط، تم إبلاغها " بأنه سيسمح للقرطاجنيين بالاحتفاظ بحريتهم وقوانينهم وإقليمهم وممتلكاتهم العامة والخاصة بشرط أن يسلموا ثلاثمائة من أبرز رجالهم رهينة، وأن يطيعوا الأوامر التي يصدرها لهم القنصلان اللذان عبرا البحر إلى أوتيقا على رأس الجيش والأسطول" (٣). واتبع البيزنطيون أسلوب الرهائن، فعندما استغل الآفار فرصة انشغال هرقل بمجاربة الفرس عام

٦٢٢ م، ونقضوا المعاهدة التي كانوا قد أبرموها معه، وهددوا بالهجوم على القسطنطينية عاد هرقل إلى عاصمته، وزاد مقدار الجزية التي يدفعها للأفار، وأرسل إليهم عدداً من الأمراء البيزنطيين رهائن (٤). وقد تضمنت شروط السلم، الذي أقره حلف الراين سنة ١٢٥٤م طريقة معاملة الرهائن في مدن حوض الراين المتحالفة من أجل حفظ السلام في الإمبراطورية المقدسة (٥). وقد احتفظ الملك (ميناء) في مصر بأسرى الشمال ليضمن لعدم خروجهم على سلطته (٦). وقد استخدم أسلوب الرهائن في الدويلات القديمة التي قامت في جنوب الجزيرة العربية بهدف حماية القوافل المارة بالصحراء من هجمات القبائل. وكان الملك السبئي (كرب ايل وتر) يحتفظ بالأطفال عند خوضه المعارك من أجل إخضاع الممالك، وغالباً ما تؤخذ الرهائن من أبناء الأمراء، فقد أخذ مالك، أحد الملوك السبئيين امراً القيس، وابن ملك كنده وآخرين من أبناء سادات كنده رهائن لضمان ولاء تلك الممالك واستمرار طاعتهم وإخلاصهم له (٧). وقد استخدم الأحباش هذا الأسلوب عند دخولهم إلى اليمن (٨). وفي بداية الدولة الإسلامية اعتبر عامل الزكاة زياد بن ليبيد رفض عشيرة الملكية من الكنديين دفع الزكاة تمرداً على السلطة الدينية، فقبض على عدد من الكنديين واحتجزهم رهائن ليضمن وصول الزكاة المفروضة (٩). وبعد دخول يحيى بن الحسين إلى اليمن سنة ٨٩٧م عمل بهذا النظام بعد أن تكررت الثورات اليمنية من القبائل (١٠). وعندما ترأس علي بن أحمد الصليحي الحركة الإسماعيلية (١١) وسيطر على اليمن، جمع ملوك البلاد واحتجزهم كرهائن لديه في صنعاء، وعندما قرر السفر إلى مكة سنة ١٠٨٠م اضطحبهم معه خشية أن يثوروا عليه في غيابه (١٢).

وفي المراحل الأولى من تكوين الدولة السعودية الأولى اشترك رئيس نجران حسن بن هبة الله المكرمي، ع زيد بن زامل أمير الدلم في حربه ضد الجيوش السعودية، التي قادها عبد العزيز ابن محمد عام ١١١٩م. مقابل دفع أموال طائلة له، ولكن هذه الأموال لم تدفع إليه

إلا بعد أخذ رهائن منه (١٣). وقد توسع العثمانيون في سياسة الرهائن أثناء حكمهم في اليمن، وأخذ بعض ولاتهم الرهينة ثلاثية (زوجة وبنناً وذكرأ) (١٤).

### العوامل التي دعت لاتباع سياسة الرهائن في اليمن:

اختلفت الأسباب التي دعت لأخذ الرهائن منها: أسباب سياسية لضمان خضوع القبائل للسلطة، ومنها اقتصادية لتأمين الطرق التجارية من اعتداءات القبائل وضمان وصول الضرائب التي تعتبر المورد الأساسي لمالية الدولة وخاصة الزكاة في العصر الإسلامي. ويعود الاعتماد على نظام الرهائن في تثبيت السلطات السياسية والدينية منذ القديم في اليمن إلى عوامل يمكن إجمالها بالتالي:

١- البيئة الاجتماعية: إن نظام الرهائن من دون شك وليد البيئة السياسية والاجتماعية التي تركز في الأصل على بيئة قبلية. والقبيلة في اليمن هي الوحدة السياسية والاجتماعية التي يتسلسل فيها الولاء من سلطة الأب وعافل القرية حتى يصل إلى شيخ القبيلة، الذي يملك سلطة مطلقة تجاه أفراد قبيلته (١٥). ومن خلال طبيعة المجتمع اليمني يتبدى لنا ما يمكن أن يحتاجه من يحاول فرض سيطرته على اليمن من إمكانيات عسكرية ومادية، لأن أية سلطة مركزية بحاجة إلى مواجهة ما يشبه الدولة ألا وهي القبيلة، فهي تشعر بعدم حاجتها إلى دولة ما دامت القبيلة موجودة. إن ارتباط الفرد أصبح بقبيلته أقوى من ارتباطه مع أي جماعة أو سلطة أخرى. وعلى مر التاريخ كانت القبيلة تقوم في حالة وجود الدولة بتغليب مصلحتها على مصلحة الدولة (١٦).

لم تتغير هذه النظرة عند دخول الإسلام إلى اليمن، وربما يعود ذلك إلى الصراع القبلي، الذي نشأ في الدولة الإسلامية واشتد في العصر الأموي، عندما ازدادت حدة الصراع بين القيسيين والكلبيين. وقد ظل نظام الجيش وترتيبه في المعارك في الدولة الإسلامية قائماً

على أساس قبلي، وكانت التقسيمات العسكرية تميز كل قبيلة عن غيرها من القبائل الأخرى.

لقد شكلت البيئة القبلية عائقاً أمام مد الدولة سلطتها المركزية على الأقاليم اليمنية كلها، ولاسيما في الأقاليم الشمالية، في الوقت الذي تمكنت السلطة من بسط نفوذها على مناطق أقل عصبية قبلية وبشكل خاص في الأقاليم الإنتاجية، لأن طبيعة عملها الإنتاجي زراعياً كان أو صناعياً بحاجة إلى الأمن والاستقرار، وهذا يفسر استمرار السيطرة العثمانية على المناطق الساحلية والوسطى فترة أطول من استمرارها على الأقاليم الشمالية الفقيرة. لقد استخدمت السلطة الإمامية وسيلتين لإضعاف شوكة القبائل في اليمن أولهما مادية تمثلت بدعم رؤساء القبائل بالأموال لإضعاف مركزها، وخلق التوازن بين الدولة والقبيلة، إلا أن هذه الطريقة كانت مؤقتة حيث تبين أن إخضاع القبائل عن طريق الدعم المادي لم ينجح دائماً فسرعان ما تعود القبيلة للتمرد والهجوم (١٧).

أما الطريقة الثانية فتمثلت بربط شيوخ القبائل بخيط الإمامة عن طريق الشدة والعنف، وذلك عندما تمتلك السلطة الإمامية القدرة على استخدام القوة في مواجهة القبائل، وكانت تلجأ بعد ذلك إلى سياسة الرهائن، التي كانت في غالب الأحيان تضمن استمرار ولاء القبائل.

٢- البيئة الجغرافية: إن طبيعة اليمن الجغرافية معقدة، ومن الصعب على الإنسان الغريب معرفة دروبها وممراتها دون الاستعانة بأهل البلاد. وقد أدى ذلك إلى صعوبة السيطرة عليها بشكل تام من قبل الغزاة وصعوبة بناء سلطة مركزية على أراضيها. فقد شكلت هذه الطبيعة عائقاً في وجه أي استقرار سياسي لكونها تساعد كل من يقود حركة أو تمرد أو ثورة من أهل البلاد على الاستمرار في المقاومة. إذاً فهذه الطبيعة تحتاج إلى مقدرات غير

عادية لفرض النظام فيها (١٨). فصعوبة السيطرة على هذه الطبيعة المعقدة وعدم قدرة الدولة على جباية الزكاة والضرائب المختلفة، دفع السلطة إلى جمع الرهائن من القبائل، حتى لا تقدم هذه القبائل على العصيان إذا ما قويت شوكتها (١٩). لقد شكلت طبيعة اليمن الجغرافية عائقاً هاماً أمام سيطرة العثمانيين سيطرة كلية على اليمن بالرغم من امتلاكهم جيشاً قوياً مدعوماً بسلح مدفعية، إلا أن طبيعة اليمن الجغرافية المعقدة قللت من فعالية هذا الجيش (٢٠). وقد عدّ هشام علي أن ظاهرة الرهائن في اليمن هي لعنة الجغرافية (٢١).

٣- الأحوال السياسية: إن كثرة الاضطرابات والثورات أدت إلى التوسع في استخدام نظام الرهائن في اليمن. لقد كانت البلاد عند قيام المملكة المتوكلية اليمنية في حالة عدم استقرار واضطراب دفعت الإمام إلى أخذ الرهائن من شيوخ القبائل لكي يأمن جانبهم ويضمن الاستقرار في البلاد (٢٢).

دفعت الأوضاع السياسية العامة في المملكة المتوكلية اليمنية الإمام يحيى حميد الدين لأخذ الرهائن من القبائل، حيث شكّلت القوى السياسية المحيطة بالإمام خطورة على سلطته لإمكانية استغلالها، أي القبائل المتذبذبة، فقد أثار النفوذ الإنكليزي الاستعماري في عدن مخاوف الإمام من القبائل اليمنية ولاسيما في الجنوب إن علاقات الإمام مع السلطات الإنكليزية في عدن كانت متوترة، وهذا ما دفع الإمام يحيى حميد الدين إلى التشدد في أخذ الرهائن وضمان السيطرة على القبائل. وكانت قبيلتنا حاشد (٢٣)، وبكيل، مصدر قلق لحكم الإمام يحيى وأحد مواطن الضعف في حكمه (٢٤).

حتى إن الأوربيين وجدوا في ظاهرة الرهائن وسيلة ناجحة عند تفريغ أو تحميل سفنهم في الموانئ اليمنية، فقد كانوا يشترطون الاحتفاظ بمجموعة من الشيوخ وأبنائهم في سفنهم

رهائن حتى تتم تحميل البضائع أو تفريغها (٢٥). وقد أخذ بهرام باشا الرهائن من مناطق ريمة (٢٦) المعقدة الممرات والمسالك. وكذلك أخذ سنان باشا الرهائن بأعداد كبيرة عندما سيطر على المناطق الشمالية ذات الجغرافية المعقدة والمشهورة بثوراتها العديدة.

وفي عام ١٩٣٩م لم يوافق الإنكليز، الذين ضربوا عدن بالقنابل، على التفاوض مع أهل المنطقة إلا بعد أن اشترط قائد الحملة الإنكليزية (هس) على شيوخ القبائل إرسال ثلاثة من كبارهم لضمان القيام بتسليم عدن سلمياً.

وكذلك فإن الشريف حسين بن علي (٢٧)، بعد سيطرته على بقاع اليمن الجنوبية، قام بجمع الرهائن وإرسالهم إلى زبيد، ومن ثم عين حكاماً على تلك المناطق.

وقد استخدم الإدريسي (٢٨) نظام الرهائن في المناطق الخاضعة لحكمه، فعندما دخلت قواته إلى بلاد ريمة وأبها (٢٩) والسراة، أخذ الأسرى من أبناء تلك المناطق وأرسلهم إلى مناطق الزيدية ثم إلى جيزان، واحتفظ بهم كرمز لدخول هذه القبائل تحت سيطرته (٣٠).

وعشية قيام المملكة المتوكلية اليمنية ١٩١٨-١٩٦٢م، اشترطت الدولة العثمانية على الإمام يحيى حميد الدين في صلح دعان (٣١) المعقود بينهما سنة ١٩١١م، إطلاق الرهائن الموجودين لديه في صنعاء وما جاورها وحراز (٣٢) وعمران لمدة عشر سنوات، وهي مدة الاتفاقية. وهذا يعني أن العثمانيين كانوا حريصين على عدم ازدواجية ولاء هذه القبائل، التي قد تتوجه في ولائها إلى الإمام يحيى حميد الدين، وإن كانت واقعة تحت نفوذ الولاة العثمانيين فيما إذا قطعت الدولة العثمانية هباتها المالية.

### أنواع الرهائن:

وجدت في عهد الإمام يحيى حميد الدين ثلاثة أنواع من الرهائن تختلف عن بعضها بحسب الظروف التي أخذت منها الرهينة.

١- رهينة الضمان (الطاعة أو الفداء أو الأمانة) (٣٣): وهي الرهائن التي تقدمها القبائل الموالية لسلطة الإمام في أوقات السلم. وتعود رهائن الضمان على شيوخ القبائل الذين يسلمونها للسلطات الإمامية بفوائد مادية ومعنوية عديدة: مثل تقاضي الشيخ المرهن ربع العشر من زكاة المنطقة ومخصصات سنوية من القبيلة أو القرية باسم الرهينة (٣٤). ويعتبر الشيخ المرهن شيخ الضمان في منطقته، أي أن الالتزامات المالية تصبح في عهدة شيخ الضمان الذي يحتفظ الإمام بابنه رهينة لديه، وقد دفعت هذه الفوائد شيوخ القبائل إلى تأدية الرهائن للسلطات دون الشعور بأي عار اجتماعي لاعتيادهم على هذا النظام، ويصبح شيوخ القبائل هؤلاء محل ثقة الإمام في وقت السلم، وغالباً ما يصبح الشيخ المرهن عامل الإمام على منطقته، وقد تتيح له الظروف ليصبح من كبار الإقطاعيين.

وفي بعض الأحيان تتفق القبيلة الواحدة بتوزيع الرهينة على أفخاذ القبيلة، بحيث يقدم كل فخذ رهينة للإمام لفترة معينة من الزمن ثم يستبدل برهينة أخرى من الفخذ وهكذا..... فتتوزع الرهينة بهذه الطريقة على أفخاذ القبيلة بدلاً من حصرها في وجهاء وشيخ القبيلة. وتصبح فترة بقاء الرهينة لدى السلطات الإمامية قصيرة مقارنة بغيرها. تتراوح أعمار رهائن الضمان ما بين العاشرة والثامنة عشرة (٣٥). فهم صغار السن ذكرهم نزيه مؤيد العظم في كتابه رحلة في العربية السعيدة بالصبيبة (٣٦).

لقد استخدم الإمام يحيى حميد الدين رهائن الضمان في القصر كـ «دوارة» (٣٧) يقومون بوظيفة الخدمة في بيت الإمام، لذلك فإنه لا يمكن بقاء الرهينة بعد تعدي سن الرشد، لأن الرهائن يخالطون نساء القصر، ولأن تكاليفهم ترتفع بارتفاع سنهم، علاوة على ذلك فإن الأطفال لا يشعرون كثيراً بقسوة البعد عن ذويهم، فكلما أدرك الرهينة حقيقة وجوده يتولد لديه على الأغلب شعور بالנקمة على الإمام، لذلك ما أن يبلغ الرهينة سن

الرشد حتى يتم إبداله بغيره من الأطفال. وكانت السلطة تختار من الرهائن للعمل في القصور "عكفة" أي حراسة خاصة وكذلك تستخدمهم حراس سجون ونقباء حراس سجون ويمكن ترفيتهم إلى الحرس الخاص (٣٨).

٢- رهينة الحرب (العطف): يؤخذ هذا النوع من الرهائن في حال تمرد إحدى القبائل، حيث يتم إكراه القبيلة المتمردة على تسليم رهائن. تعد هذه الرهينة مؤقتة تزول بزوال الظروف التي أخذت فيها. وتزداد أعداد رهائن الحرب في حالة تمرد قبيلة من القبائل التي كانت قد قدمت للسلطة الإمامية رهينة الضمان المذكورة سابقاً، ولا تعود مقتصرة على شيوخ القبائل الكبيرة بل تشمل أيضاً شيوخ العزل، والقرى، أو جميع أفخاذ القبيلة أحياناً (٣٩).

وتبقى هذه الرهينة في حوزة الإمام إلى أن تحسن القبيلة علاقاتها مع الحكومة وتسهل طريق الجباة وتساعدتهم في تأدية مهماتهم. وخير مثال على هذا النوع من الرهائن هو تجريد الإمام يحيى حميد الدين حملة عسكرية أجبرت شيوخ قبيلة الزرائيق (٤٠) في تهامة على تقديم الرهائن عند تمردهم على السلطة الإمامية (٤١).

ولعل الهدف من فرض ضريبة الحرب هو تأديب للقبيلة ولشيخها معاً، فمن واجب القبيلة المتمردة طاعة الدولة عن طريق تقديم رهائن الضمان فضلاً عن رهائن الحرب (العطف) وإلا تتعرض هذه القبيلة للعقوبة العسكرية حيث يفرض عليها نظام الخطاط (٤٢)، الذي يعد من العقوبات القاسية، التي تنص على إقامة مجموعة من عساكر الإمام في منازل القبيلة، ويكون واجب أصحاب هذه المنازل خدمتهم وتقديم الطعام والشراب والقات والأجرة اليومية لهم.



وإمعاناً في إذلال القبيلة المتمردة يتم تكليف جنود من قبيلة أخرى لتنفيذ المهمة ولا يبارح الجنود المكلفون بمهمة الخطاط إلا بعد أن تكون القبيلة قد استنفدت كل ما لديها من غذاء احتياطي وثروات حيوانية ثم يعودون وهم مصطحبون معهم رهائن الضمان والعطف.

وهنا يتوجب على شيخ القبيلة تحسين علاقته مع الحكومة، ويساعد الموظفين الحكوميين، ويستقبل جباة الزكاة، والحكام الشرعيين ويسهل مهامهم (٤٣)، وتؤخذ أوامر الخطاط من الإمام نفسه. إن رهائن الحرب غير مقيدة بسن معينة وغالباً ما تكون من العناصر (٤٤) التي تقوم بأنشطة معادية للدولة، وقد يأخذ الإمام شيخ القبيلة نفسه، وقد تشمل هذه الرهائن الأطفال أيضاً، وكان يسمح في حالات نادرة استبدال الشيوخ بأبنائهم كما حدث للشيخ أمين عبد الواسع، الذي خرج برهن ابنه مكانه (٤٥).

وبعد سقوط المقاطرة، تم اقتياد أسراهم إلى صنعاء مشياً على الأقدام وهم يحملون رؤوس قتلاهم حيث دامت الرحلة نحو الشهر وأصبح هؤلاء رهائن عند الإمام الذي احتجزهم وجعلهم كسوط ليضرب به أهلهم (٤٦).

لقد اتبعت حكومة الإمام أساليب القسوة والعنف السياسي لقمع ثورات الفلاحين، وفرضت عقوبة الموت على الثوار، وحبست الأحياء رهائن لضمان استمرارية ولاء قبائلهم لها (٤٧).

٣- رهائن الاحتياط: وهم الذين يسلمون عند وقوع وشاية أو إشاعة (٤٨). فقد كان الإمام يحيى حميد الدين إذا ما سمع أخبار غير مطمئنة، أو عن تحركات قبلية يبادر إلى اعتقال مشائخها، إذا تمكن من ذلك، أو إلى أخذ أعداد من الرهائن من القبيلة التي وصلت عنها الإشاعة حتى يمنع وقوع التمرد. والفرق بين رهينة الاحتياط ورهينة العطف (الحرب) هو أن الأولى تؤخذ عند حدوث إشاعات، بينما تؤخذ الثانية بعد تغلب الدولة على القبيلة

المتمرتدة. ملامح تطبيق الإمام يحيى حميد الدين نظام الرهائن في المملكة المتوكلية اليمنية:

على إثر هزيمة الدولة العثمانية خضعت اليمن الشمالي مع نهاية الحرب العالمية الأولى لحكم الأئمة بعد أن أوجد الإمام يحيى حميد الدين نظام الوراثة لعائلة حميد الدين وهو شبيه بالحكم الملكي الوراثي (٤٩). فقد قام الإمام يحيى بتأسيس أول حكومة مركزية، وقسم البلاد إلى ست محافظات، وهذا ما مكّنه من السيطرة على القبائل والقرى حيث احتفظ بمقاليذ السلطة كاملة لنفسه. وقد مثلت مرحلة زوال الحكم العثماني، وتأسيس المملكة المتوكلية اليمنية فترة انتقالية اتسمت بالاضطرابات السياسية، وقيام التمردات القبلية في أماكن كثيرة. كانت سيادة الإمام في البداية تقتصر على العناصر الزيدية ولكنه أخذ يوسع نطاق نفوذه في جهات مختلفة حيث اصطدم بعناصر لا تعترف بسيادته فلجأ إلى القوة لإخضاعها مستخدماً أسلوب الرهائن لتثبيت سلطته، ولضمان الاستقرار في البلاد (٥٠). لقد هدفت سياسة الإمام إلى تعزيز هيبة الحكومة المركزية عن طريق استخدام العنف والقوة ومن أبرز معالمها نظام الرهائن. فساد نتيجة لذلك الخوف من بطش الدولة وأصبح وجهاء الريف يرهّبونه ويضمرون الحقد للسلطة الحاكمة، ولكنهم وبحكم مواقعهم الإدارية ينفذون خططه الرامية إلى خلق هوة بين الريف والمدينة وبين الحكام والمحكومين. بقي نظام الرهائن أسلوباً رئيسياً اعتمد عليه الإمام يحيى حميد الدين من أجل تقوية جهازه الإداري وحمايته من تحديات القبائل في الأقاليم القريبة والبعيدة (٥١)، ولم تكن السلطات الإمامية تفرق بين مذهب وآخر عند جمعها للرهائن (٥٢)، وهذا ما يدحض رأي بعض المؤرخين مثل سلفاتور أبونتي الذي ادعى أن الإمام يحيى حميد الدين الذي كان يفرق بين الزيود والشوافع عند جمعه للرهائن (٥٣). فالإمام كان يأخذ الرهائن من القبائل الزيدية أكثر من القبائل الشافعية لإدراكه قوة هؤلاء وخطورتهم (٥٤).

وقد شملت هذه الظاهرة جميع فئات المجتمع دون استثناء وفرضت على القبيلة الموالية والمعادية دون تفریق (٥٥) ما دام الهدف هو طاعة النظام، وتأمين وصول التزامات الفلاحين من القرى والعزل إلى خزينة الدولة وضمان الأمن والاستقرار في مختلف الأقاليم.

اختلفت معاملة السلطات الإمامية للرهائن باختلاف أنواعهم. وقد أدى ذلك إلى خلط الباحثين عند كتابتهم عن أوضاع الرهائن. وربما أسفرت النظرة السلبية عن عدم الرضا عن سياسة الإمام يحيى حميد الدين الداخلية والخارجية والمطالبة بتحسين هذه السياسة.

كان رهائن الحرب يعانون من سوء المعاملة، والتعذيب إلى الحد الذي وصل إلى التصفية الجسدية، فقد أشارت صحيفة صوت اليمن إلى أن مجموعة من المشايخ قد لقوا حتفهم في سجن حجة (٥٦)، لقد كان رهائن الحرب أشبه بالمعتقلين أو بالأسرى، لا يسمح لهم بحرية الحركة أو التنقل. وكانت السجون هي أماكنهم التي يتم مراقبتهم فيها أيضاً خوفاً من القيام بأي نشاط داخلي فيها. ذكر الرحالة أحمد وصفي زكريا المعاملة السيئة التي يواجهها هؤلاء الرهائن بقوله أنهم (.... يعيشون في معاقلم مغلولي الأرجل بقيود الحديد، ويكون معاشهم من آبائهم) (٥٧)، وهناك كتابات عديدة تذكر أوضاع الرهائن السيئة وأنهم مثلاً ((يوضعون في السجون مع القتلة والسفاكين والمجرمين واللصوص وقطاع الطرق)) (٥٨).

وتعود أسباب هذه المعاملة السيئة إلى أن هؤلاء الرهائن قد انتزعتهم الدولة بعد حروب مع قبائلهم، لذلك فإن أغلب رهائن الحرب من مشايخ القبائل، ومن العناصر المتمردة نفسها،

وهذا ما يجعل معاملتهم تختلف عن معاملة رهائن الضمان الذين قدموا للسلطة الامامية بشكل سلمي (٥٩).

وفي أوقات السلم تسمح السلطات الإمامية لرهائن الضمان بحرية الحركة، والتنقل بين أسواق المدينة التي تم اختيارها لإقامتهم على أن لا يغادروا المكان مطلقاً (٦٠). وكان بعض رهائن الضمان يقدم منافع للسجناء (٦١). ويشارك رهائن الضمان أحياناً في الأنشطة الاستعراضية العسكرية ولكن دون أن يحملوا أي سلاح أو خنجر كما هي العادة عند أهل اليمن، وهذا أمر مخزٍ ومؤثر في نفسية الرهينة (٦٢). وفي مدينة مناخة حراز في محافظة صنعاء كان هؤلاء الرهائن يقيمون في دار في الطابق العلوي ويعاملون معاملة كريمة، وكانوا يتجولون في سوق المدينة دون حراسة، حيث كان مظهرهم يدل على أنهم أبناء مشايخ وأسر غنية. أما الطابق السفلي من الدار فقد كان مخصصاً للمساجين (٦٣)، وربما أدت إقامة هؤلاء الرهائن في دار المساجين نفسه إلى خلط بعض الباحثين والمؤرخين عند كتابتهم عن أحوال الرهائن، ويتركز وجود الرهائن في صنعاء وتعز وحجة وصعدة ويريم وذمار، وقد ورد في أحد الوثائق المحفوظة في المركز اليمني للوثائق المحفوظة في صنعاء بأن حصن صنعاء أو ما كان يسمى (بالقصر السعيد) هو مقر الرهائن في صنعاء (٦٤). وقد ذكر محمد حسن بأن رهائن الضمان يوضعون في بيت مخصص لهم سمي (بيت الرهائن) حيث يبقون تحت حراسة الجند فيه (٦٥).

كان نزيه مؤيد العظم شاهد عيان على ما رآه فذكر: « رأيت من نافذة غرفتي في السراي (المقام الشريف) صبية يلعبون في صحن دار متسعة ظننتها لأول وهلة مدرسة، ولكن سرعان ما تبدي هذا الظن إذ رأيت بالقرب منهم جندياً حاملاً بندقية، وواقفاً لحراستهم، وسألت البعض عن أمر هؤلاء، ف قيل لي هؤلاء من الرهائن » (٦٦).

وكان الرهائن يتسلمون رواتب خاصة بهم من بيت المال، وقد اختلفت هذه الرواتب من سنة إلى أخرى. ففي عام ١٩١٩ م قدرت بريالين ونصف لكل رهينة فضلاً عما كان يصرف لهم من الحبوب شهرياً (٦٧)، وقد ارتفعت هذه الرواتب حيث وصلت إلى أربعة ريالاً شهرياً (٦٨). هناك من يذكر أن القبائل التي سلمت رهينتها إلى الإمام هي التي تتفق على الرهينة وحاجته من طعام وملبس (٦٩).

وعلى الرغم من الوضع التعليمي البدائي في عهد الإمام يحيى حميد الدين فقد توافر لرهائن الضمان دون غيرهم فرص لتعلم القراءة والكتابة لم تتوافر لغيرهم من المواطنين العاديين، حيث كانت مراكز الرهائن تضم مجموعة من المربين المكلفين بتعليمهم مبادئ اللغة والدين وهذا ما أكدّه أمين الريحاني، الذي ذكر استقبال طلاب المدرسة الرهائن مع شيخهم عند وصوله إلى يريم (٧٠).

ذكر عبد العزيز الثعالبي (٧١)، الذي زار اليمن عام ١٩٢٤م، أن الإمام يحيى حميد الدين عين للرهائن المعلمين والمربين لتعليمهم القرآن الكريم ونصيباً من العلوم تناسب أعمارهم ولم يعرضهم للجهل (٧٢). وقد ذكر لي السيد علي مقبل العذري، الذي كان رهينة عند الإمام يحيى حميد الدين، بأن الرهائن يتم تدريسهم من قبل اثنين من الفقهاء، وكان يتم إحضار طعامهم من الأهل إلى جانب ما يصرف لهم (٧٣). ويستنتج من ذلك أن تعليمهم كان بسيطاً وربما تعتمد الإمام ذلك، لأن في تعليمهم وتنقيفهم خطراً على سياسته، ومع ذلك فقد أنهى عدد منهم الدراسة في المرحلة الأولى ليتابع في المدرسة العلمية، التي تدرس القرآن الكريم والنحو والصرف والحديث والحساب والجغرافية (٧٤). أما بالنسبة للأوضاع الصحية للرهائن فلا بد من ذكر سوء الأوضاع الصحية العامة في اليمن، وهنا نجد أن

فرصهم أفضل من بقية المواطنين لوجودهم في مراكز الألوية التي يتوفر فيها عدد قليل من الأطباء ومحلات العطاراة (٧٥).

### نتائج تطبيق أسلوب الرهائن:

لقد هدف الإمام يحيى حميد الدين في أخذه رهائن الضمان، إلى ضمان ولاء شيوخ القبائل وجمعهم تحت سلطته من خلال جمع أولادهم رهائن، وبذلك يبقى هؤلاء الشيوخ على اتصال دائم بالإمام وبالسلطة المركزية من خلال الزيارات التي يقومون بها لأبنائهم المحتجزين. وكان يرمي أيضاً إلى تشديد قبضته على القبائل وجعل ولاء الفرد للسلطة المركزية أقوى من ولائه لشيخ قبيلته. لقد ساهمت سياسة الرهائن في تقوية الحكومة الإمامية وعملت على إطالة حكم الإمام إلى ما يقرب من ثلث القرن ١٩١٨-١٩٤٨م، أما الهدف الثاني لهذه السياسة فهو الحرص على وصول موارد الدولة إلى بيت المال. وقد خدمت ودعمت هذه السياسة الجوانب المالية، لأن الرهائن وهم أبناء أو أخوة أو أقارب شيوخ القبيلة، وغالباً ما يكون هؤلاء الشيوخ هم شيوخ الضمان ممن يتولى جمع الزكاة أو الإشراف أو المساهمة في جمعها وبشكل خاص في النواحي والعزل البعيدة، حيث يقوم هؤلاء الشيوخ بإيصال حقوق الدولة كاملة مع البيانات التي تدل على صحتها (٧٦)، وقد توسع أحياناً شيوخ القبائل في المناطق البعيدة في جمع الضرائب والزكاة؛ لأن الرقابة المركزية كانت ضعيفة مما زاد الضغط على القبائل، لقد أسهمت سياسة الرهائن في إضعاف سلطة القبيلة وساعدت الإمام يحيى حميد الدين في بداية عهد المملكة المتوكلية اليمنية على كبح جماح القبائل، حتى امتدت سلطته إلى أقاليم كثيرة، بعد أن كانت هذه السلطة لا تتعدى المناطق الزيدية في الشمال.

لقد أدت سياسة الرهائن إلى خلق نوع من التكافؤ بين سلطة الدولة والقبيلة، فالدولة لم تكن تمتلك القوة لردع التمردات القبلية، والقبائل أيضاً لم تمتلك قوة عسكرية تستطيع إسقاط الدولة متى شاءت (٧٧) إن تكافؤ القوى بين الدولة والقبائل، بالإضافة إلى امتلاك الدولة القدرة على تجنيد قبيلة ضد أخرى جعل سيطرة الدولة على القبيلة أمراً ممكناً، ما دامت هذه التبعية تعود إلى القبيلة وشيوخها بالفوائد المادية التي تمنحها الدولة لشيوخ القبائل مع احتفاظ السلطة بأبناء المشايخ رهائن لديها لضمان هذا الولاء. فقد ساعد نظام الرهائن الدولة على السيطرة على القبائل عن طريق هيمنتها على مشايخها، الذين يعدون أنفسهم حكاماً في مناطقهم (٧٨). وهنا لابد من التنويه إلى أن النجاح النسبي الذي حققه الإمام نتيجة تطبيق نظام الرهائن جاء نتيجة تطبيقه في المجتمع القبلي اليمني. إن سياسة الرهائن لا تأتي بنتائج في مجتمع غير قبلي ولا يمنح الفرد فيه ولاء للقبيلة، أي في مجتمع عنده القدرة على تطبيق القانون.

لقد ذكر محمد حسن نتائج إيجابية لهذه الظاهرة بقوله: « فأنت ترى أن ما يفعله أخذ الرهائن في اليمن من نتائج تتمثل في الأمن والهدوء والاستقرار ما لا يفعله أي قانون دستوري في الممالك الشرقية التي منيت بالقلق والاضطرابات » (٧٩). إلا أن هذا الرأي بعيد عن الصحة؛ لأن الاضطرابات التي كانت موجودة في بعض البلاد العربية لم تنجم عن النظم الدستورية المطبقة فيها، وإنما نتجت عن عدم رسوخ هذه النظم، وإن الحل يكون في توسيع وتثبيت هذه النظم الدستورية وإن في تفضيل ظاهرة الرهائن عليها؛ لأن هذه الظاهرة هي ظاهرة سلبية، أدت إلى نتائج سلبية كثيرة ولم توجد وحدة روحية في اليمن بل على العكس أوجدت أحقاداً وخلافات كثيرة. فمثلاً يعود نفور شيوخ المحميات الجنوبية في اليمن من حكم الإمام يحيى حميد الدين وميلهم إلى الإنكليز إلى خوفهم من أخذ الرهائن منهم (٨٠). ولم يكن تطبيق أسلوب الرهائن مصدر أمن للسلطة دائماً، بل على

العكس أصبح وعلى المدى البعيد مصدر إزعاج، وأحد أسباب عدم الاستقرار؛ لأنه خلق علاقات غير ودية بين جنود السلطة المركزية والأهالي. وقد أدى اعتماد الإمامة على شيوخ المنطقة في تسهيل جمع الضرائب في النواحي والعزل البعيدة إلى تشكيل طبقة من ملاك الأراضي قامت بممارسة إجراءات قمعية كفرض عقوبات مالية على الفلاحين وسجنهم (٨١).

وهذا ولد حقد عميق بين الفلاحين وشيوخ القبائل من جهة وبين الفلاحين والسلطة المركزية من جهة أخرى، مما أدى إلى وجود تناحر بين الريف والمدينة.

لقد قاد شيوخ القبائل المتضررون من نظام الرهائن ومركزية الدولة ثورات فلاحية مثل الثورات التي قادها الشيوخ ناصر القردي وأخوه أحمد ١٩٣٢-١٩٣٣م، حيث هاجم فيها رجال مذبح الحاميات العسكرية وموظفي السلطة المركزية المنتشرين لجمع الزكاة والرهائن، وقد وقع الشيخ أحمد ناصر أسيراً بيد جيش الإمام وأخذ رهينة حتى يضمن الإمام عدم تمرد هذه القبائل على سلطته (٨٢).

لقد أثر أسلوب الرهائن على علاقة الإمام يحيى حميد الدين مع القبائل خارج منطقة نفوذه وفي داخل المحميات الجنوبية، التي رفضت مناصرته خشية مطالبتهم بالرهائن. وقد ذكر سلطان الحواشب (٨٣) علي بن مانع لأمين الريحاني « هو ابني الوحيد يا أمين، ولكنني أذبحه والله ولا أسلمه رهينة لأحد » (٨٤).

فقد كان العامل الأساسي لنفور هؤلاء الشيوخ من الإمام وميلهم للإنكليز هو خوفهم من أخذ الإمام رهائن منهم، وهذا ما أكدته جواب سلطان ناحية المسمير لنزيه مؤيد العظم عندما سأله عن مدى رغبته في الاتفاق مع الإمام يحيى حميد الدين؛ لأن ذلك برأيه أفضل من



الاتفاق مع الإنكليز والتعامل معهم، حيث أجاب نعم نخضع له ولكن بشرطين أن لا يطلب منا رهائن، وثانياً إذا أتينا إلى صنعاء يجب أن يطلقوا حين وصولنا مدافع (٨٥).

وبذلك شكلت سياسة الرهائن عائقاً أمام اتفاق السلاطين في الجنوب مع الإمام يحيى حميد الدين، ودفعت هؤلاء السلاطين إلى تفضيل التعامل والاتفاق مع الإنكليز على إعطاء رهينة الضمان للسلطة المركزية. لقد تمكن الأديب اليمني زيد مطيع دماج في قصة "الرهينة" التي جمعت بين القصة والواقع الذي عاشه الرهائن في التعبير عن همومه وعن معاناة الشعب اليمني (٨٦).

كان زيد ابن الشيخ مطيع دماج الذي خشي من أن يأخذ الإمام ابنه رهينة مما دفع أمه إلى الاختباء وهي حامل في شهرها السادس في مكان في المنزل يسمى (السفل) وهو خاص بالأغنام والحطب خشية من الإمام الذي كان يترقب مولوداً للشيخ مطيع لأخذه رهينة. وعند ولادته ظلت أمه متخفية ومتنقلة من مكان إلى آخر عدة سنوات ومخفية مولودها. وقد اكتفى الإمام بأخذ أحمد قاسم دماج رهينة عن آل دماج وكان عمره سبع سنوات. وقد نتج عن تطبيق سياسة الرهائن آثار سلبية كثيرة على الحكم وعلى المؤسسات القبلية، لذلك نجد أنه عند تشكيل حركة المعارضة في عدن تم الاتفاق على إلغاء بعض الأنظمة السلبية ومنها نظام الرهائن (٨٧)، وقد أصبحت سياسة الرهائن محط انتقاد الجعاعات المتقفة اليمنية التي أملت بطريقة أفضل لحكم اليمن، حيث وصلت حالات التذمر إلى درجة دفع بعض الشيوخ إلى الالتحاق بصفوف المعارضة في عدن مثل الشيخ ناشر عبد الرحمن العريفي، الذي خرج من سجن حجة، بعد أن رهن أحد أبنائه بدلاً عنه، والتحق بالمعارضة (٨٨). كما التحق بعض شيوخ تعز، بصفوف المعارضة مثل: الشيخ أمين عبد الواسع

نعمان، والشيخ نعمان عبد القادر نعمان، اللذين كانا في السجن أيضاً وخرجا برهن ابنيهما بدلاً منهما (٨٩).

لقد كان من أهم نتائج تطبيق سياسة الرهائن تنبؤ القبائل إلى خطورتها على وحدتهم القبلية. ومع أن القبائل اليمنية سلمت ظاهرياً بسلطة الدولة، إلا أن هذا لم يتعد حدود تقديم الرهائن، فقد بقيت التحالفات القبلية كتحالف حاشد وبكيل ومذحج متماسكة، وقدر للشيوخ المعارضين قيادة كفاح قبائلهم ضد الحكومة الإمامية.

لقد نجح الإمام يحيى حميد الدين من خلال انتهاج سياسة الرهائن في إضعاف هذه القبيلة أو ذلك الشيخ، إلا أن النتائج النهائية لهذه السياسة لم تؤد إلى تحطيم النظام القبلي ككل، فقد خضعت معظم القبائل للسلطة الإمامية تحت تأثير القوة العسكرية، وتأجج النزاعات القبلية، إلا أن أهم نتيجة لتطبيق أسلوب الرهائن كان بذور الفرقة بين الحكومة الإمامية والمؤسسة القبلية في اليمن ولاسيما تحالف حاشد وبكيل. وقد نتج عن سياسة الرهائن دفع الريف اليمني للثورة على سلطة الإمام بعد أن شعرت القبائل بالخطر الذي يترتب بمستقبلها. لقد اعتقد الإمام يحيى حميد الدين بحتمية هذا الأسلوب لضمان تأييد وولاء القبائل له، بالرغم من أن الإسلام حرم أسر المسلمين رهائن وإثخانهم بالأغلال.

فإنه لا يجوز احتجاز المدنيين من الأعداء رهائن، بسبب عمل يرتكبه أو يمتنع عنه غيرهم، وليسوا مسؤولين عنه؛ لأن من أهم قواعد العدل بين الناس أن لا يسأل أحد عن عمل غيره، وأن لا يحاسب على جريمة اقترفها غيره. هذه القاعدة الشرعية أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (٩٠). وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (٩١).

ولا بد من التنويه في الختام إلى أن الإمام يحيى حميد الدين قد عدّ ظاهرة الرهائن هي واحدة من الطرق المثلى لفرض سيطرته ونفوذه في اليمن، وظل يستخدمها طوال عهده وهذا ما صيغ فترة حكمه في النصف الأول من القرن العشرين بالتأخر والجمود.

## الهوامش

- ١- ولد الإمام يحيى في مدينة صنعاء في ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ، حزيران ١٨٦٩ م، ونشأ في كنف والده الإمام المنصور محمد بن حميد الدين. وبدأ بممارسة القيادة السياسية والعسكرية في ظل حكمه المتسم بالاضطراب والمقاومة ضد العثمانيين. وعندما توفي الإمام المنصور ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م بويع يحيى إماماً واتخذ لقباً له المتوكل على الله.
- ٢- تضمن برنامج سولون الاصطلاحي تحريم رهن الإنسان الحر لنفسه لقاء دين، حتى لا يصبح المدين عبداً لدائنه.
- انظر: سيد أحمد على الناصري، الإغريق.. تاريخهم وحضارتهم، القاهرة ١٩٩٩، ص ٢١٨.
- ٣- انظر: إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام ١٣٣ ق.م، الجزء الأول، القاهرة ٢٠٠٠ م، ص ٣٣٩.
- ٤- انظر: اسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ٣٢٤ - ١٤٥٣ م، الإسكندرية ١٩٩٠ م، ص ٤١.
- ٥- نصت المادتان الثامنة والتاسعة من شروط السلم على: "إذا احتفظنا في مدننا بشخص رهينة، فإننا نتعهد بحمايته من أي عدوان، وترك الحرية له في دخول المدينة أو الخروج منها وفق ما يشاء، ولكن إذا حاول مثل هذا الشخص الهرب حائثاً بأيمانه، فإن المدينة تنذر ثلاث مرات، فإذا لم يعد فإن لصاحب الرهن أن يقيم عليه دعوى أمام القضاة لإعادته."

- انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، الجزء الأول، الطبعة الثامنة، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٧٤٢.
- ٦- انظر: سيد توفيق، معالم وتاريخ وحضارة مصر الفرعونية، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٤٥.
- ٧- انظر: الموسوعة اليمنية، صنعاء د.ت، المجلد الثاني، ص ١٤٠٦.
- ٨- انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٦. ج ٣، ص ٤٩٦.
- ٩- انظر: الموسوعة اليمنية، المجلد الثاني، ص ١٤٠٦.
- ١٠- انظر: محمد عبد الله ماضي، دولة اليمن الزيدية (نشأتها، تطورها، علاقاتها)، القاهرة ١٩٥٠، ص ٤٢.
- ١١- الإسماعيلية: طائفة دينية تنسب إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق. تفرعت هذه الطائفة من الإمامية الاثنا عشرية بعد وفاة جعفر الصادق، إذ لم تعترف طائفة من الشيعة عرفت باسم الخطابية بإمامة موسى الكاظم الإمام السابع عند الاثنا عشرية، ونادوا بدلاً من ذلك بإمامة إسماعيل وابنه محمد.
- ١٢- انظر: الموسوعة اليمنية، المجلد الثاني، ص ١٤٠٧.
- ١٣- انظر: حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة ١٣٦٨هـ، ص ٩٣-٩٨.
- ١٤- انظر: عبد الصمد الموزعي، الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد، صنعاء د.ت، ص ١٩٦.

- ١٥- انظر: جلوففسكايا، ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، ترجمة قائد طربوش، موسكو ١٩٧١، ص ١٠٢.
- ١٦- انظر: سلطان أحمد عمر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، بيروت ١٩٧٠، ص ٢٩.
- ١٧- انظر: أمين الريحاني، ملوك العرب، بيروت ١٩٦٢، ج ١، ص ٢٠٨.
- ١٨- انظر: نزيه مؤيد العظم، رحلة في بلاد العربية السعيدة، بيروت ١٩٨٦، ص ٧٧.
- ١٩- انظر: المرجع نفسه، ص ٧٠.
- ٢٠- انظر: سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٦ م، القاهرة ١٩٧٨، ص ٢٧٤.
- ٢١- انظر: هشام علي، "الرهينة، اسر الكتابة وحرية القراءة": مجلة الثقافة، العدد السابع ١٩٥٥م، ص ٣٤.
- ٢٢- انظر: سيف الدين سعد آل يحيى، تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن ١٩٤٠-١٩٤٣م، ج ١، صنعاء ١٩٧٥، ص ٨٦.
- ٢٣- قبيلة حاشد: إحدى كبريات قبائل همدان تنسب إلى حاشد بن جُثم. هي قبيلة تمتلك أراضي واسعة تشمل جبال الأهنوم وظليمة والغصيمات وخارف وغيرها. قبيلة بكيل: بطن من همدان، بنو بكيل بن جُثم، بلادها ما بين صنعاء وصعدة في الجانب الشرقي، وهي بلاد واسعة فيها الكثير من النواحي، ولها فروع كثيرة مشهورة معروفة.
- ٢٤- انظر: الريحاني، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٨.

٢٥- اتبع الهولنديون هذا الأسلوب في ميناء المخا بتاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ١٠٣٨ هـ الموافق ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٨ م.

٢٦- ريمة: بلدة جنوب شرق الحديدة بمسافة ٧٠ كم، غرب جنوب صنعاء، تتصل ببلاد وصاب والجراف بجبل بُرع ومركزها الجبي.

٢٧- الشريف حسين ١٢٧٠-١٣٥٠هـ ١٨٥٤-١٩٣١ م:

هو الحسين بن علي بن محمد بن عون القرشي الهاشمي. حارب الأتراك، وقاد الثورة العربية الكبرى، تنحى عن العرش لابنه علي، وارتحل إلى جدة سنة ١٩٢٤م ثم إلى العقبة، وبعدها إلى جزيرة قبرص ١٩٢٥ م، حيث أقام بها ست سنوات، حتى أُنزِلَ الإنجليز بسفره بعدها إلى عمان عندما مرض، ومات هناك بعد ستة أشهر، ودفن بالمسجد الأقصى.

٢٨- الإدريسي: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي. قدم جده الأول أحمد بن إدريس إلى مكة عام ١٨٠٠ م، ثم توجه إلى زبيد ومنها إلى المخلّاف السليمان عام ١٨٢٩م. ويعد أول أمير عربي استجاب لدعوة بريطانية لدخول الحرب في جانبها ضد تركيا.

٢٩- أبها: تقع في رأس وادي ضلع، في مرتفعات السروات على ارتفاع ٢٢٠٠ م.

٣٠- قد يكون تطبيق الإدريسي لنظام الرهائن دليلاً على عدم ثبات ولاء القبائل وتأرجحها بين الولاء له والولاء للإمام يحيى حميد الدين لذلك أخذ أبنائهم رهائن لتثبيت الولاء له.

٣١- دعان: بلدة تقع في الشمال الغربي من مدينة عمران بمسافة ١٨ كم.

٣٢- حراز: قضاء تابع لصنعاء، يقع على بعد ٨١ كم غربي صنعاء، مركزه مناخه.

- ٣٣- انظر: عبد الله البردوني، *الثقافة والثورة في اليمن*، دمشق ١٤١١هـ، ص ٢٣٠.  
والريحاني المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٣.
- ٣٤- انظر: البردوني، المرجع السابق، ص ٢٣٠.
- ٣٥- انظر: فاروق عثمان أباطة، *الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨)* القاهرة ١٩٧٥م، ص ٦٤.
- ٣٦- انظر: العظم، المصدر السابق، ص ٧٠.
- ٣٧- دويدار، لفظ فارسي بمعنى السكرتير أو الخاص في دور الأمراء.
- ٣٨- انظر: البردوني، المرجع السابق، ص ٢٣٠.
- ٣٩- انظر: أحمد محمد محمود الفقيه، *السياسة الإدارية والمالية في عهد الإمام يحيى* ١٩١٨-١٩٤٨م، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة صنعاء عام ١٩٩٤م، ص ٢٥٣.
- ٤٠- قبيلة الزرائيق. من قبائل تهامة ينسبون إلى زرنق بن الوليد، وهم في الأصل قبائل المعازبة، مساكنهم ما بين وادي رمع ووادي ذوال، ومابين البحر الأحمر وجبال ريمة الأشابيط.
- ٤١- انظر: حسين أحمد العرشي، *بلوغ المرام في شرح مسك الختام*، بيروت، د.ت، ص ١٩٢.
- ٤٢- الخطاط: ومعناها الترتيب والتوزيع للقوة على المنازل والقرى. وكانت الحكومة الإمامية تفرض إجراءات الخطاط على القبائل المتخلفة في دفع الزكاة أو المعارضة لسلطتها. وفي الغالب كانت تسلط قبيلة على قبيلة أخرى لا لتقضي على شوكتها



فحسب، بل ولتقيم لديها إقامة جبرية، حتى تعلن الأخيرة طاعتها وتجدد ولاءها للحكومة.

٤٣- انظر: سيد مصطفى سالم، وثائق يمنية، دراسة وثائقية تاريخية، القاهرة ١٩٨٢، ص ١١٦.

٤٤- انظر: الفقيه، المرجع السابق، ص ٢٦٤.

٤٥- انظر: صحيفة صوت اليمن، العدد ٤، نوفمبر ١٩٤٧، ص ٤.

٤٦- انظر: سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩-١٩٦٧م، عدن ١٩٧٦، ص ٧٨.

٤٧- انظر: سيد مصطفى سالم، وثائق يمنية، ص ١١٦.

٤٨- انظر: البردوني، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

٤٩- انظر: سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث (١٩٠٤-١٩٤٨) القاهرة ١٩٨٤، ص ١١٠.

٥٠- انظر: آل يحيى، المرجع السابق، ج ١، ص ٨٦.

٥١- انظر: سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث (١٩٠٤-١٩٤٨) القاهرة ١٩٨٤، ص ٤٩١.

٥٢- انظر: ادجار، اوبالانس، اليمن، الثورة، الحرب، ترجمة عبد الخالق لاشين، بيروت ١٩٨٥، ص ٤٨.

- ٥٣- انظر: سلفاتور، ابونتي، مملكة الامام يحيى في بلاد العربية السعيدة، ترجمة طه فوزي، القاهرة ١٩٤٧، ص ٣٩.
- ٥٤- انظر: سيد مصطفى سالم، تكوين مرجع سابق، ص ٤٩٥.
- ٥٥- انظر: عبد العزيز قائد المسعودي، معالم تاريخ اليمن المعاصر، صنعاء ١٩٩٢م، ص ٢١.
- ٥٦- انظر: صحيفة صوت اليمن، العدد ١١، ١٦ كانون الثاني ١٩٤٧م، ص ٤.
- ٥٧- انظر: ذكرى، المصدر السابق، ص ١٦٥.
- ٥٨- انظر: مصطفى الشكعة، ثلاث وثائق عربية عن ثورة ١٩٤٨، بيروت ١٩٨٤، ص ٩٣.
- ٥٩- هناك سبب آخر يخشاه الإمام في حالة إساءة معاملة رهائن الضمان، وهو وجود رد فعل سلبي من قبل آبائهم، الذين يملكون إمكانيات إزعاج للسلطة إذا تعرض أبناءهم لمعاملة سيئة.
- ٦٠- انظر: هانز هلفريتز، اليمن من الباب الخلفي، ترجمة خيرى حماد، بيروت ١٩٨٥ م، ص ١٤٨.
- ٦١- انظر: البردوني، المرجع السابق، ص ٢٣٠.
- ٦٢- انظر: عبد الله الشماحي، اليمن، الإنسان، الحضارة، القاهرة ١٩٧٢ م، ص ٢٧٥.
- ٦٣- مقابلة مع أحد أعيان عزلة بني خطاب، الحاج محمد عبده حذيفة في منزله الكائن في بني قليد-عزلة بني خطاب، مناخة، حراز، محافظة صنعاء.

- ٦٤- انظر: وثيقة محفوظة بالمركز اليمني للوثائق، صنعاء، مجموعة وثائق عام ٩١٩ م.
- ٦٥- انظر: محمد حسن، قلب اليمن، بغداد ١٩٤٧ م، ص ١١٩-١٢٠.
- ٦٦- انظر: العظم، المصدر السابق، ص ٧٠.
- ٦٧- انظر: وثيقة محفوظة بالمركز اليمني للوثائق صنعاء، مجموعة وثائق عام ١٩١٩ م.
- ٦٨- انظر: عبد العزيز قائد المسعودي، معالم تاريخ اليمن المعاصر، صنعاء ١٩٩٢ م، ص ١٢١.
- ٦٩- انظر: سلفاتور ابونتي، مرجع سابق، ترجمة طه فوزي، القاهرة ١٩٤٧، ص ١٢٩.
- ٧٠- انظر: أمين الريحاني، ملوك العرب، ج ١، ص ١٠٩.
- ٧١- عبد العزيز الثعالبي ١٢٩١-١٣٦٣ هـ، ١٨٧٤-١٩٤٤ م: هو عبد العزيز إبراهيم ابن عبد الرحمن الثعالبي، مفكر وسياسي تونسي تأثر بأفكار رواد الاصطلاح الفكري الإسلامي مثل: محمد عبده، ورشيد رضا. ناضل ضد الحماية الفرنسية. نشر عام ١٩٢٠م كتابه الشهير تونس الشهيدة.
- ٧٢- انظر: عبد العزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية، تحقيق حمادي الساحلي، بيروت ١٩٩٧ م، ص ٧١.
- ٧٣- مقابلة مع أحد الرهائن، السيد علي مقبل العنزي، في منزله في صنعاء بتاريخ ٢٠٠٣/٥/٢٠ م.
- ٧٤- انظر: العظم، المصدر السابق، ص ٢٣١.
- ٧٥- انظر: الفقيه، المرجع السابق، ص ٢٦٢.
- ٧٦- انظر: المرجع نفسه، ص ٢٨٨.

- ٧٧- انظر: عبد الملك المقرمي، التاريخ الاجتماعي في الثورة اليمنية، بيروت ١٤١١ هـ، ص ١٥٦.
- ٧٨- انظر: هلفريتز، المرجع السابق، ص ١٦٧.
- ٧٩- انظر: الريحاني، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ٨٠- انظر: سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٤٩٤.
- ٨١- انظر: أحمد قائد الصائدي، حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ١٩٠٤-١٩٤٨م، بحث لنيل درجة الدكتوراه في ألمانيا، صنعاء ١٩٨٣، ص ١٣٦.
- ٨٢- انظر: المسعودي، المرجع السابق، ص ١٥٤.
- ٨٣- الحواشب: قبيلة وبلاد تجاور قبائل الفضلى وقبائل الصبيحي ورزمان والضالع، وبها النواحي التالية: الراحة والحرور والدرجة والمسيمير وجول مدرم والملاح، مركزها المسيمير.
- ٨٤- انظر: الريحاني، المصدر السابق، ج ١، ص ٩٤.
- ٨٥- انظر: العظم، المصدر السابق، ص ٣١٤.
- ٨٦- انظر: WWW Khayma com ibby men l2 damag ntena.
- ٨٧- انظر: أحمد محمد الشامسي، رياح التغيير في اليمن، صنعاء ١٩٨٥، ص ١٣٩.
- ٨٨- انظر: مجلة صوت اليمن، العدد ٣٦، ١٠ يوليو ١٩٤٧ م، ص ٤.
- ٨٩- انظر: المصدر نفسه، ص ٤.
- ٩٠- الإسراء ١٥.
- ٩١- فصلت ٤٦.